

«أشياء صغيرة».. جرائم متسلسلة يفرق في دوامتها شرطيان

في مواجهة تنتهي بمقتل المشتبه به، تمر أحداث الفيلم وهي محملة بقدر من التلميحات وبالماضي المحاط بأسئلة عما يتعلق بديكون، فهو يراوح مكانه بلا ترقيات منذ سنوات طويلة من دون أن نعرف السبب، زملأوه السابقون في لوس أنجلوس يحذرون من العمل معه، وتلاحقه استنكارات تتعلق بفتيات مقتولات. هذه الألغاز في موازاة قضية الاشتباه بالقاتل المتسلسل تتراكم وتنتقل مسار الأحداث وخلال ذلك كنا ننتظر ابتكارات المحقق الشاب باكستر، لكننا في الحقيقة وجدنا أمامنا شابا منقادا إلى ذلك الثعلب الماكر المتمرس ويكون، حتى يبدو هزليا أمامه إلى درجة أن يستدرجه مشتبه به بكل سداجة ويقوم بعمل العديد من الحفر بطريقة عشوائية.

المخرج أراد أن يقدم نوعا مختلفا من أفلام الجريمة يطرح الأسئلة أكثر مما يجيب عليها ويبت الألفاظ

لا شك أن إنتاجا مدعوما من وارنر برونز سوف يكون له ثقله على جميع المستويات، وحيث من المتوقع أن نمضي بعيدا في المفاجآت وبت الحبيكات الثانوية وقطع الأنفاس، لكننا لن نجد شيئا كثيرا من ذلك وبقي الإيقاع كما هو منذ البداية وهي إشكالية واضحة في مسار هذا الفيلم.

وأما على صعيد الفكرة والحبكة والبناء الدرامي فيبدو أن المخرج أراد أن يقدم نوعا مختلفا من أفلام الجريمة، نوعا يطرح الأسئلة أكثر مما يجيب عليها ويبت الألغاز هنا وهناك تجعل الشكوك تحوم حول أطراف عدة، لكن اقتراب ديكون هامسا وهو يقول لباكستر «انت ولدي» ثم إكمال دفن الضحية في جريمة قتل مكتملة الأركان، يثيران علامات استفهام.

في الحد الأدنى بدأت الشبهات تحوم حول باكستر وكأنه أصيب بصدمة لم يخرج منها بعد قيامه بضرب ضحية كان الهدف إنقاذها من خاطفين أو مغتصب ما وسط الظلام، بينما يقوم باكستر بإطلاق رصاصة تستقر في صدرها وتقتلها، ولنكتشف سر نفور زملائه السابقين منه إن كانوا قد تستقروا عليه وحتى الطبية الشرعية سوف تدعي أن الفتاة الضحية قد أصيبت بطعنات سكاكين وليس برصاصة باكستر.

وإذا اختلفنا ذلك بما تقتضيه سينما التحري فلسوف تكون إزاء نمط مختلف من دراما الجريمة ربما يكون المحقق هو القاتل أو لا يكون، لكنه محقق صعب وسوف يغطي على جيم باكستر ويساعده في طمر المشتبه به في أرض مقفرة وبذلك أصبحا شريرين في الجريمة، ولناكيد ذلك يذكره بامرئ الأول عدم الغرق في الأشياء الصغيرة والثاني أن لا أحد في صفات ملاك.

ط ع *

ملاحقة الجريمة وفك الغازها، القاتل المتخفي شديد الذكاء والمتمرس، المحقق، الأدلة، كلها تجتمع كموصفات للعديد من الأفلام لتكون نوعا سينمائيا محمدا، حتى تكاد نقول إنه لا حاجة إلى المزيد منها بسبب كثرة أفلام الجريمة والأفلام البوليسية، وإذا الواقع يضحك المزيد من قصص الجريمة تدفع بصناع السينما إلى اقتفاء أثرها وتحويل تلك القصص الواقعية أو المستقاة من الواقع إلى قصص سينمائية.

في المقابل يحمل هذا النوع من أفلام الجريمة والإثارة أو الأفلام البوليسية الكثير من التأثير والجذب لجمهور عريض يريد العدالة والوصول إلى الحقيقة، في تفاعل وجداني مبني على متانة الحبكة والبناء الدرامي وعناصر التشويق وأداء الشخصيات.

في فيلم «أشياء صغيرة» نجد أنفسنا في مطلع التسعينات مع قصة سينمائية كان من المفترض أن تظهر آنذاك على الشاشة، لكنها تنقلت بين عدة مخرجين من بينهم كلينت إيستوود وستيفن سبيلبيرغ حتى انتهى بها المطاف إلى المخرج جون لى هانكوك، بأحداثها القريبة جدا من الواقع.

في مشهد ليلى لفتاة تقود سيارتها في شارع خال وهي منسجمة مع صوت الغناء، تلاحقها وسط الظلام سيارة مجهولة وينتهي بها المطاف إلى أن تحاول الهرب راكضة وسط الأشجار، لينغلق المشهد عند تلك اللحظة من الملاحقة بين الفتاة والمجهول.

هذه التوطئة كانت ضرورية لشد المشاهد ولكي ننقل إلى دينزل واشنطن (في دور المحقق جو ديكون) في كاليفورنيا، وهو ومن معه من عناصر أجهزة الشرطة يواجهون قاتلا متسلسلا، أجهز على عدد من الفتيات من دون أن يتم القبض عليه، لينتقل الأمر عودة المحقق ديكون إلى مركز الأمن السابق الذي كان يعمل فيه في لوس أنجلوس لغرض جلب أدلة جديدة.

هناك سوف يعود إلى عالمه السابق وزملائه في العمل بعدما كان قد أبعاد عن ذلك المركز الأمني لأسباب نجهلها، وليحل محله محقق شاب وسيم هو جيم باكستر (الممثل رامي مالك)، وهنا سوف يلتقي المحققان، باكستر الذي جلس على كرسي ديكون وهو يسمع قصصا عن كفاءته وفي المقابل ديكون الذي يحدثه زملاؤه عن ذلك المحقق الشاب الناجح.

هنا يتأسس الإطار السردي والدرامي الذي سوف تسير بموجبه الأحداث، وما نحن مع المحققين وقد تكاتفنا من أجل الوصول إلى حقيقة القاتل المتسلسل، إطار سردي بدأ فيه باكستر أقل كفاءة أمام حنكة ديكون ومناوراته العجيبة، وحتى حياته القصدية وهو الذي يعيش ببنت ناء في منطقة مقفرة.

خلال مدة وجيزة يقرب ديكون من الوصول إلى مشتبه به غير مؤكد، لكن ديكون يزهجه في دائرة الشكوك بكل حنكة ودرابة ولسوف نمضي في سلسلة من الكر والفر والاقتفاء تنتهي باستدراج القاتل المشتبه به إلى المحقق باكستر معها.



فيلم شابت حيكته بعض الثغرات

لصان يتسببان في اكتشاف خيانة زوجية

فيلم «الصدوق الأسود».. ليلة طويلة لامرأة مخدوعة



الفيلم دراما تدور داخل حيز مكاني ضيق في حدود المنزل ولم تكن هنالك إلا بضعة مشاهد لأماكن خارجية

مع جميع تلك التحولات لا نزال نجهل ما قصة ذلك الملف ومن الذي يريده من محاولة سرقته، وبقي ذلك الغموض إلى النهاية، وذلك مسار درامي ومنطق في السرد السينمائي لا ندري لماذا لم يقترب منها كاتب السيناريو لتوسيع مساحة الأحداث، وأما ما تم الاكتفاء بعرضه من أحداث فكاننا أمام فيلم قصير وقعت إضافة تفاصيل إليه هنا وهناك لكي تغطي زمتنا فيلميا أطول، وإذا نظرنا إلى الفيلم وبحسب ما شاهدناه فإن أحداثا كثيرة كان يمكن اختصارها.

يبقى التحول الأهم في الفيلم هو في لحظة المواجهة والمصير النهائي عندما يحضر الزوج لتفضحه زوجته، ولتقع مواجهة دامية بين الجميع، ومن المؤكد أن يرافق ذلك حل سعيد من خلال طفر هادي بحقيقية المال والملف ونهايه فرحا لإنقاذ أبيه. وكما أشرنا في بداية المقال حول مقارنة هذا الفيلم بفيلم أميركي آخر هو

اكتشاف خيانة الزوج وكونه حماميا مرتشيا وفسادا ولولا دخول تلك الغرفة الصندوقية المغلقة بكونه سري، لما كان بإمكان ياسمين اكتشاف حقيقة الزوج والحاصل أننا أمام دراما فيلمية تدور داخل حيز مكاني ضيق في حدود المنزل ولم تكن هنالك إلا بضعة مشاهد لأماكن خارجية، ولهذا كان الضيق المكاني علامة مكملة لإحساس ياسمين بذلك الضيق، بل إنها مصابة بفوبيا الأماكن الضيقة ومن ذلك صعوبة استخدام المصعد، فاعطانا هذا الموقف إحساسا مبكرا بعائته ياسمين من المكان ثم عودتها إلى الحجر المغلقة.

أما في ما يتعلق بهادي فهو الذي يقدم نفسه شخصية بريئة وأنه جلب سيد، اللص المحترف، لمساعدته فقط وليس التحرش الجنسي بياسمين، وأن عليها إحضار الملف الذي لا تعلم عنه شيئا لكي تنجو بنفسها.

شخصية نسائية

مع جميع تلك التحولات لا نزال نجهل ما قصة ذلك الملف ومن الذي يريده من محاولة سرقته، وبقي ذلك الغموض إلى النهاية، وذلك مسار درامي ومنطق في السرد السينمائي لا ندري لماذا لم يقترب منها كاتب السيناريو لتوسيع مساحة الأحداث، وأما ما تم الاكتفاء بعرضه من أحداث فكاننا أمام فيلم قصير وقعت إضافة تفاصيل إليه هنا وهناك لكي تغطي زمتنا فيلميا أطول، وإذا نظرنا إلى الفيلم وبحسب ما شاهدناه فإن أحداثا كثيرة كان يمكن اختصارها.

يبقى التحول الأهم في الفيلم هو في لحظة المواجهة والمصير النهائي عندما يحضر الزوج لتفضحه زوجته، ولتقع مواجهة دامية بين الجميع، ومن المؤكد أن يرافق ذلك حل سعيد من خلال طفر هادي بحقيقية المال والملف ونهايه فرحا لإنقاذ أبيه. وكما أشرنا في بداية المقال حول مقارنة هذا الفيلم بفيلم أميركي آخر هو

بعد أربع سنوات من الغياب السينمائي، عادت الفنانة المصرية منى زكي إلى الشاشة الكبيرة من خلال فيلم «الصدوق الأسود» الذي تحمّلت فيه أعباء البطولة المطلقة، حيث ينتمي هذا العمل إلى أفلام اليوم الواحد، ويعدّ الإقبال على بطولته مجازفة فنية، تحتاج إلى جرأة كبيرة من الممثلة. وفعلا بعد عرض الفيلم كتب حوله الكثير، خاصة في ما يتعلق بالسيناريو والإخراج.

عبارة عن غرفة صندوقية سرية محكمة الإغلاق، لكن الفارق يبرز في المعالجة والبناء الدرامي والشخصيات.

هنا سوف نكتشف ياسمين وجود اللصين وترامها وهما يفتشان عن شيء ما وتبدأ بإطلاق أصوات تجعلهما يتقضان عليها ويقومان بتكتيفها، بينما يعلن هادي مرارا أنها لم يأتيا لإيذائها، بل هما يريدان الحصول على ملف لقضية معينة يحتفظ بها زوجها.

ما لم يكن في الحسبان هو ذهاب أحد اللصين، وهو هادي لتفقد والده المريض في حالة حرجية، والذي يحتاج إلى إجراء عملية جراحية طارئة تتطلب مالا كثيرا لن يحصل عليه هادي إلا بالحصول على الملف، عندئذ يتسلم المال من جهة ما نجهلها.

بدأ هذا التحول وبت حبكة ثانوية بهذا الشكل مفبركا تماما، وكاننا وجدنا الجواب عن سؤال أزلي: لماذا يسرق اللص؟ والجواب: بسبب حاجته إلى المال أو حاجة أسرته، لكن القصة هنا ليست بهذا التبسيط الذي لجأ إليه المخرج وكاتب السيناريو، بل إن هنالك ما هو مخفي في قصة ذلك الملف وهو ما بقي غامضا حتى النهاية.

على أن تمكن ياسمين من الإفلات من قبضة اللصين ووصولها إلى الغرفة الآمنة كان هو التحول الأهم، لأنها لم تتخذ نفسها فقط، بل لأنها سوف تكتشف المخفي من سلوك زوجها وتورطه في فساد أخلاقي وعلاقات خارج الزواج وما إلى ذلك.

من جهة أخرى وفي إطار التحول الدرامي كان وجود اللصين سببا في



تاهر علوان كاتب عراقي

تدور الكاميرا في إطار حيز مكاني واحد ومع شخصيات تبدو أسيرة لذلك المكان، والأحداث يمكن أن تقع في غضون ليلة واحدة طويلة وقاسية تمتد فيها الزمن، فيتفاهم الإحساس بالعجز واقتراب النهايات مع قدر من الشد والمفاجآت غير السارة.

هكذا هي قصة فيلم «الصدوق الأسود»، امرأة وحيدة تواجه قدرها أمام لصين لا يريدان مسروقات ثمينة بل إن لديها هدفا آخر، ذلك هو القدر الذي سوف ينتظر ياسمين (الممثلة منى زكي) وهي حامل في شهرها الأخير في هذه الدراما، التي كتب لها السيناريو أحمد وهيثم الدهان وأخرجها محمود كامل.

في مكان ضيق

في القفلة الفخمة تعيش تلك السيدة إلى جانب زوجها وولديه، لكن الزوج ياسر (الممثل شريف سلامة) خارج المنزل بسبب متطلبات عمله كمحام يتطلب منه عمله السفر إلى مدن أخرى، وبسبب خروج وعودة ياسمين بظن اللص سيد (الممثل محمد فراج) وزميله هادي (الممثل مصطفى خاطر) أنها ليست في المنزل، ولهذا يتحتمان المكان بينما ياسمين نائمة في الغرفة العليا.

وكانت تشاهد فيلم «غرفة الهلع» الذي قامت ببطولته جودي فوستر، أجواء متقاربة في وجود مخبا سري هو

سينما المرأة أم سينما الهامش

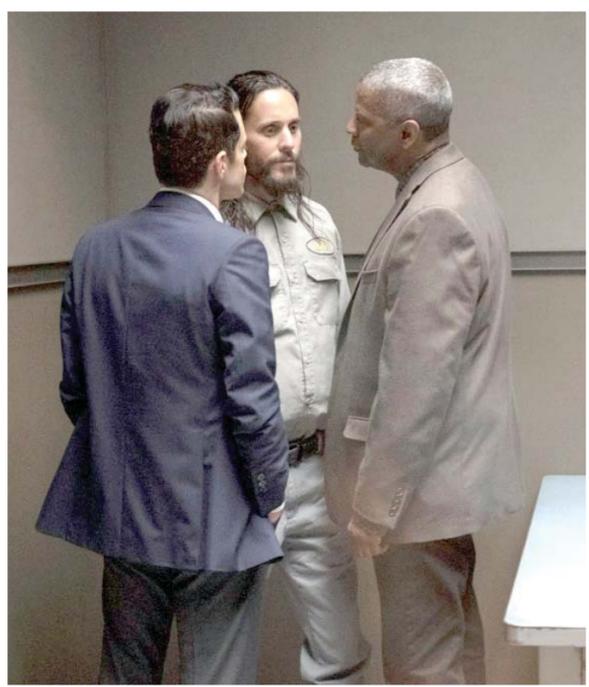
هو مؤهل أو غير مؤهل لإداء المهمة وبالتالي المرأة سوف تفصلها فاصلة. وإذا اقتربنا أكثر فإن الإشكالية ترتبط بمجتمع شرقي تشكل فيه أوضاع النساء المساحة الأوسع من أي نقاش واية تنمية.

وبهذا تستطيع المرأة الاغتراف من القيد البطريكي ولا حقها في التعليم إلا قطرة من بحر ناهيك عن التعنيف اليومية ومع ذلك تغيب كاميرا المخرجة العربية في ما هو ليس من إرادتها. وتعدى الشركات الخاصة المنتجة إذا افترضنا أن عينها على المرود المالي، بل تذهب إلى مفاصل أخرى، حكومية من بينها لا يعنيا

لطالما كانت الأنثوية السينمائية موضوعا لنقاش سد الفراغ في دائرة الإنتاج السينمائي في العالم العربي، وإلا أين هن المخرجات في العالم العربي وما أدوارهن ومنجزاتهن وحضورهن، إننا نتحدث عن القليل النادر.

هذا السؤال يعني النخبة التي لا تكاد تذكر والتي هي على هامش المنجز السينمائي. الفصل الجندي يحضر هنا بقوة سينمائيا. الذكور المهيمون والنساء اللاتي في الهامش وخلال ذلك نتحدث لغة الأرقام، كم فيلما خلال عقد من السنين أنتجته مخرجات في مقابل مخرجين. الهامش الذي لا يربيد الأخر إخراج المرأة المخرجة منه هو نوع من الاستثمار في النوع على فرضية من

حضور المرأة أو غيابها بقدر حضور المادة الفيلمية بالموصفات والشروط المطلوبة. لا حضور نسائيا كبيرا في عملية الإخراج السينمائي ولا في أي مفصل آخر، وتلك فرضية مجردة نعلم مسبقا استحالة تحقيقها. ثم يضاف إلى ذلك ما نسمعه دون انقطاع، عن انه وسط سينمائي مغلق على أصحابه ولا فرصة لأي جديد أن يلج الميدان والمرأة يكون دخولها من موقع أدنى لأنها لن تنتسب بأهداب موهبتها بل بمحاولتها المستميتة أن تجد موطئ قدم مهما كان وأن تحترم كإنسانة وليس نقطة مساومة. سينما المرأة تغرق في هامش ذكوري ومؤسستي، والحضور النادر للمرأة المخرجة السينمائية مسالة فيها نظر.



رحلة مثيرة لاكتشاف قاتل متسلسل

ط ع *